

## السيد الحكيم: على كل من يتصدى لمسؤولية ما ان يخفظ جناحه ويتواضع للناس



كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الاسلامية في القيادة والادارة، وقلنا ان عهد امير المؤمنين الامام علي (ع) لمالك الاشتراط مثل اختزال لهذه النظرية، كما ذكرنا اتنا حينما نتحدث عن الادارة والقيادة فنحن لا نتحدث عن المواقع القيادية الاولى عن الملوك والرؤساء والملوك والوزراء، وانما هذه النظرية تضع المواقف والشروط والمعايير للنجاح في كل ادارة مهما توسيع مساحتها او تضييقها.

بداء من الاسرة حينما يكون الشخص ربا لاسرة، مسؤولا عن عائلة عن عدد قليل من الناس او قد يكون مسؤولا في شركة او في مصنع وكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية باي مستوى كانت فتاوى هذه الضوابط كلما كانت المساحة اوسع، كلما كانت هذه المعايير اشد، وكلما كانت المساحة اضيق كلما كان التأثير بحجم تلك المساحات.

اذن نحن نتكلم عن نظرية لكل من يتصدى لأدارة او قيادة او الاهتمام بشأن من الشؤون، هذه ضوابط التصدي، هذه الشروط والمعايير لكل من يتتحمل المسؤولية في الواقع الاجتماعي، وقد استعرض امير المؤمنين (ع) في هذا العهد الشريف كما ذكرنا في اللقاءات السابقة عدة محاور، كان المحور الاول في اهداف هذا العهد وثم انتقل في المحور الثاني ليتحدث عن المعايير الشخصية لمن يتصدى لهذه المواقع موقع الخدمة وثم انتقل في المحور الثالث ليتحدث امير المؤمنين عن الرأي العام وطريقة التعامل مع الرأي العام لمن يتصدى لهذه المواقع، وفي المحور الرابع حدد الامير (ع) العلاقة بين الحاكم والرعية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم اي كانت هذه المساحات هناك علاقة متبادلة والتزامات وحقوق وواجبات وقد تحدثنا عن هذه المحاور الأربع ثم ينتقل الامير في المحور الخامس ليتحدث عن بعض الاستحقاقات لموقع التصدي بعض العوارض والاخطر التي يقع فيها الانسان حينما يتصدى لمسؤولية عامة.

يبدأ امير المؤمنين بالاشارة الى هذا المحور بقوله (ع): (( وذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة )) هذا الموقع موقع السلطنة ان كانت سلطنة بلد او سلطان بمعنى نائب او وزير في برلمان او حكومة سلطان مدير عام او في شركة اي كان، هذا الموقع الذي انت فيه والذي يعطيك الفرصة في ان تأمر احدا وتعطي التوجيهات لآخرين فهذا الموقع اذا اوجد لك شعور بالابهة والعظمة والكبرباء (( او مخيلة )) المخيلة من الخيال اي اوجد لك حالة من الخيال والعجب (( فانظر الى عظم ملك الله فوقك ))، لكي تسيطر على نفسك ولا تصاب بالعجب وبحالة الاستعلاء انظر الى الله سبحانه وتعالى ومكانته العظيمة فهو رب العالمين فمهما كنت وكانت قيمتك نسبة الى الله سبحانه وتعالى (( وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك )) استذكر الاشياء التي لا تستطيع القيام بها والتي يستطيع الله فعلها وهو سبحانه وتعالى قادر عليها، فما هي قيمتك في محضر الله وما انت الا عبد من عبيد الله وهذا يؤدي الى ان تستصغر الموضع الذي انت فيه مهما كان هذا الموقع كبير ومهما كان مؤثرا (( فأن ذلك يطامن اليك من طماحك )) يطا من من التطمين والطمأنة يعني يخفض ويقلل ويهدأ من طماحك من حالة الطغيان والتمرد التي تشعر بها، غالبا الانسان اذا تسمى مسؤولية معينة يصير بحالة أخرى غير التي عهدها بها ، وحالة الطغيان كيف يمكن السيطرة عليها ؟ يسيطر عليها باستحضار ان الله فوقك وهو القادر على شيء ولا قيمة لهذا الموقع مهما عظم وكبر نسبة الى موقع الله ومكانته سبحانه وتعالى (( وتكلف عنك من غربك )) الغرب حالة الغضب حالة الحدة، هذا الاستحضار لمكانة الله سبحانه وتعالى يجعلك تمسك نفسك عن حالة الغضب والاندفاع الالمبرر والانفعالات غير المنضبطة (( ويفيء اليك ما عزب عنك من عقلك )) يفيء يعني يرجع وعزب يعني غاب اي يرجع اليك ما غاب من عقلك، ايها المسؤول مالك تخلت عن عقلك بمجرد ان اصبحت مسؤولا وأخذت تتعامل بدون عقل ومنطق وموافق غير مبررة عقليا وفقدت توازنك ولم تستطع ان تأخذ القرار الصحيح وحينما تستحضر الله سبحانه وتعالى فوق رأسك وهو القادر والعلم بكل شيء وبيده الامور كلها يرفع من شأنه

ويضع من يشاء ويذل من يشاء سوف يعود اليك عقلك وتبدأ بالتفكير وتسسيطر على نفسك. ماذا يراد بهذه العبارة على قصرها، ولكنها تحمل مضمونا كبيرا درسا مهما في الحياة لكل من يتمنى ولكل من يتحمل المسؤولية هناك عدة اضاءات لهذه العبارات الشريفة لأمير المؤمنين (ع) .

الإضافة الأولى : أهمية الالتفات إلى العوارض الناتجة من السلطة والنفوذ ، فكما على الإنسان حينما يذهب إلى بيئه معينة يعرف ما هي العوارض المترتبة والتي تواجهه في تلك البيئة ، والذي يريد الدخول في مسابقة يجب أن يعرف من هو الخصم وما هي طبيعته ونقطة قوته وضعفه، ما هي العوارض والمخاطر التي يتعرض لها الإنسان في كل قضية.

السلطة والنفوذ والتأثير وموقع الخدمة العامة فيها عوارض وعلى (ع) يقول يا من تتصدى لموقف المسؤولية فانك امام عوارض ومخاطر عليك ان تنتبه لها، ماذا يقول علي (ع) في هذه العبارة (( و اذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك )) احدث يعني انه كان مفقود وتحقق وجود حالة الحدوث هي الوجود بعد العدم، اذن هي عوارض غير موجودة لمن هو لم يتتصدى للمسؤولية لكن في اليوم الذي يتتصدى فيه للمسؤولية سوف توجد هذه العوارض اذن هي عوارض السلطة ، عوارض الوجاهات والمواقع عليك ان تنتبه لها، الكبراء والعظمة، العجب ، الاعتداد بالذات هذه عوارض لمن يتتصدى لموقع المسؤولية إياك ان تقع في هذا الفخ وتفقد السيطرة على نفسك هذه رسالة أمير المؤمنين الأولى ، لاحظوا ماذا يقول علي (ع) في نهج البلاغة الحكمة 160 (( من ملك استأثر )) من ملك ووصل إلى موقع القدرة والتتصدي لشيء ما استأثر يصاب بحالة الاستبداد والكبر وبحالة الاستعلاء فهذه من العوارض الخطيرة لمن يتتصدى للمسؤولية ، في نهج البلاغة الحكمة 216 (( من نال استطال )) يعني الذي يصل إلى مسؤولية معينة استعلى ، هذا شأن من يصل إلى هذه المواقع يتللى بهذه العوارض وعليه ان يكون حذرا من ذلك، في سورة الاعراف الآية 146 ماذا يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه (( سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق )) من يتکبر ويستعلي بغير وجه حق عقوبته الاصراف لآيات الله عن هذا الشخص.

ففي قضية بسيطة يرى المواطن الحل ولكن المسؤول لا يستطيع ان يهتدي الى هذا الحل بالرغم من بساطته لأنه يتکبر فلا يستطيع ان يرى الطريق والحل وبالتالي يفشل ويتكلأً ويتوقف وتزداد الخصومات والخط الشعبي بوجهه لأنه لا يرى بعين الله فلا يرى الحق لأنه تکبر ولم يتتجنب الواقع في عوارض وأمراض الموضع ، في سورة الإسراء الآية 37 و 38 (( ولا تمشي في الأرض مرحبا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا )) لا تشعر بالبهجة والسرور والفخفة حينما تسير ، فانت لا تستطيع ان تشق الأرض ، ومهما ترفع رأسك وتدفع برأسك الى الامام فأنك لا تبلغ طول الجبال ، وهنا المشي بتکبر هو كناية وإشارة لحالة التبختر والتکبر التي يصاب بها الإنسان حينما يصل إلى مسؤولية معينة (( كل ذلك كان سيئه عند ربكم مكروها )) وفي سورة القصص الآية 39 (( واستکبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق )) فرعون لديه مكانة وجيوش حتى طلب من هامان ان يبني له صرحا حتى يبلغ الاسباب ليرى الله موسى (( وطنوا انه الينا لا يرجعون )) المسؤول يتعامل بطريقة ظنا منه انه سوف يبقى في هذه المسؤولية الى الابد ، فيما يها المسؤول لا تعتمد على الناس فيعيدي عليك فيما بعد، وهناك من المسؤولين بمجرد ان يخرج من المسؤولية يفاجئه بقائمة طويلة من الشكاوى والاعتراضات وتفتح الملفات وكان باستطاعته ان يفكر بهذا اليوم ويتعامل مع الناس بالطريقة الصحيحة (( وطنوا انه الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده ونبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الطالمين )) في الكافي الجزء الثاني صفحة 309 عن أبي جعفر الباقر (ع) قال (( الكبر رداء الله والمتکبر ينزع الله ردائه )) من يتکبر ينزع الله في كبرائه وعظمته له الخزي في الدنيا والآخرة ، عن الامام الصادق (ع) (( انما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق ، حقرهم وتجبر عليهم )) الذي يحرق الناس ولا يرى قيمة للناس، واليوم القذافي يرسل بيانات مسجلة ولا ندرى باي حفرة جالس ولا يستطيع ان يتخلى عن منطقه حيث يصف الناس والشعب بأوصاف لا يمكن الحديث بها ، فالمسؤول الذي يحرق الشعب والمواطنين ويستخف بعقولهم ويقطن ان الناس تننس ما يقول فالاليوم يتحدث بكلدا وغدا يتحدث بشيء آخر

وتذكر جيدا الوعود ، فمن يحقر ويستهين بالناس فهذا ملعون كما يقول الإمام الصادق (ع) ، عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال (( ان يوسف (ع) لما قدم عليه الشيخ يعقوب دخله عز الملك فلم ينزل اليه )) اختلفت الروايات في انه كان على كرسي الحكم ورواية اخرى تقول انه كان مساعد على ظهر الفرس ، لكن بالنتيجة انه لم يقم من مكانه لأبيه ، طبعا يوسف نبي من الانبياء ومعمصون وأنه معمصون لا يمكن ان يكون قد تكبر ولا يمكن ان يكون قصد الاهانة لأبيه في هذا الموقف ، قد يكون يوسف امام الناس ومن البروتوكولات شعر الناس ان قيامه لشخص اخر غير مسؤول فيه انتقام من هذا الموقف وكان يجب عليه ان يحافظ على هذا البروتوكول ويحافظ على هذا الموقف لكي يخدم من خلاله عباد الله ويفعل الموقف الذي هو به للخدمة ، فهو لم يقصد ان يتكبر ولم يقصد انه يقلل من قيمة أبيه ، ولكن كان الاولى على يوسف (ع) ان يقدم احترام الاب على مصلحة الحكم في يوسف ترك الاولى ولم يقع في معصية (( فهبط جبرئيل فقال يا يوسف ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء ، فقال يوسف يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتني فقال نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل الى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبكنبي )) تعلقت ارادة الله فلأنك تركت الاولى في هذا الموقف الله انتزع النبوة من ذريتك .

لاحظوا كم هي مهمة هذه النزعة للأنسان حينما يكون في موقع المسؤولية ، عن الإمام الصادق (ع) (( من دخله العجب هلك )) هلاك الانسان حينما يصاب بالعجب ، نستجير بالله من ذلك ونسأله له لكل من يتصدى لمسؤولية ان يمن عليه بخوض الجناح والترابية والتواضع لأنه لابد ان يعرف ان هذا الموقف مهما كبر ومهما التفت الناس حوله فلهذه الفرصة والموقف نهاية وهذه هي سنة الحياة ، فقد يكون في هذا اليوم بطل قومي والامة العربية كلها تصدق له وفي اليوم الثاني الأمة العربية ترميه بالحجارة ، والانبياء لم يستثنوا من هذه السنة فهناك حروب اشتركت بها ولم يكتب لهم الانتصار فما بالك بغيرهم ، لذلك علينا ونحن في موقع المسؤولية لا نشعر ان هذه المسؤولية لا تدوم الى الابد ويجب على الانسان ان يكون حافظ الجناح للناس.